مقارنة في المضامين بين قصة «مجنون ليلى» لقيس بن الملوح ومنظومة «ليلى ومجنون» لمحمد فضولي

صياد پناهي

دكتوراه، اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة شهيد مدني في أذربيجان، تبريز، إيران.

Comparative Study of Themes in "Layla and Majnun" by Qays ibn al-Mulawwah and Fuzuli's "Layla and Majnun"

Sayad panahi

PhD graduate, Department of Arabic Language and Literature, Azarbaijan Shahid Madani University, Tabriz, Iran

Email: sayadpanahi@yahoo.com

الخلاصة:

الأهداف: تهدف هذه الدراسة المقارنة إلى تحليل قصة «مجنون ليلى» في الأدب العربي كما رواها قيس بن الملوح، ومقارنتها مع المنظومة التركية للشاعر محمد فضولي، للكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بينهما، وبيان كيفية انتقال وتطور الموضوعات الأدبية بين الثقافات الإسلامية.

المنهجية: اعتمد البحث على المنهج المقارن لدراسة أدبيين: الأول هو النص العربي الأصلي المتمثل في ديوان «مجنون ليلى» للشاعر قيس بن الملوح، والثاني هو المنظومة التركية «ليلى ومجنون» لمحمد فضولي، مع التركيز على التحليل الموضوعي والفني، وتتبع التحولات التي أدخلها فضولي، مثل النقلة من الطابع العاطفي إلى الصوفي، وإضافة أحداث جديدة غير موجودة في الرواية العربية.

النتائج: كشفت الدراسة أن فضولي لم يقتصر على محاكاة القصة العربية، بل أضاف أبعادًا صوفية وإبداعية، وحوّلها إلى عمل متماسك ذي سياق أدبي متكامل. كما تبين أن القصة عادت إلى الأدب العربي الحديث عبر مسرحية أحمد شوقي «مجنون ليلى»، مما يؤكد التفاعل المستمر بين الأدبين.

الخلاصة: تُظهر المقارنة أن قصة مجنون ليلى تمثل نموذجًا حيًا للتأثير المتبادل بين الآداب الإسلامية، حيث تطورت من الحب العذري في الأدب العربي إلى الرمزية الصوفية في الأدب التركي، ثم عادت إلى العربية بشكل جديد، مما يبرز ديناميكية التبادل الثقافي.

الكلمات المفتاحية:

الأدب المقارن، مجنون ليلى، محمد فضولي، الحب العذري، الصوفية

obstract:

Objectives:This comparative study aims to analyze the story of «Layla and Majnun» in Arabic literature as narrated by Qays ibn Al-Mulawwah, and compare it with the Turkish version by the poet Fuzuli, to identify similarities and differences, and explore the transmission and evolution of literary themes across Islamic cultures.

Methodology: The study adopted a comparative approach to analyze two literary works: the original Arabic text represented in the Diwan Majnun Layla by the poet Qays ibn al-Mulawwah, and the Turkish poetic work Layla and Majnun by Muhammad Fuzuli. The analysis focused on thematic and artistic examination, particularly tracing the transformations introduced by Fuzuli, such as the shift from an emotional tone to a Sufi one, as well as the addition of new events absent from the original Arabic narrative.

Results: The study reveals that Fuzuli did not merely imitate the Arabic story but added Sufi and creative dimensions, transforming it into a cohesive literary work. It also shows how the story returned to modern Arabic literature through Ahmed Shawqi's play «Majnun Layla,» highlighting ongoing intercultural exchange.

Conclusion: nosirapmoc ehT a si «nunjaM dna alyaL» taht setarstnomed neewteb ecneuflni lautum fo ledom gnivil estahc morf gnivlove ,serutaretil cimalsI msilobmys fiuS ot erutaretil cibarA ni evol ot kcab neht dna ,erutaretil hsikruT ni eht gnirocsrednu ,mrof dewener a ni cibarA .egnahcxe larutluc fo msimanyd

Key words:

Comparative literature, Layla and Majnun, Fuzuli, Chaste love, Sufism

١- ١. المقدمة:

الأدب المقارن هو مقارنة أدب بأدب آخر أو بآداب أخرى ومقارنة الأدب مع مجالات أخرى من التعبير الإنساني.(زلط، ٢٠٠٥: ٤٨) مما يُستنتج أن هذه الدراسة تركّز على تأثير الأدب في الآداب الأجنبية أو تأثّره بها، مع تحليل مسارات هذا التبادل. جدير بالذكر أن العلاقات السياسية والتجارية والاجتماعية والثقافية القائمة بين الشعوب الناطقة بلغات مختلفة، تؤدي مع مرور الزمن إلى حالة من التأثير والتأثّر والتبادل بين لغات تلك الشعوب. وهذا ماحدث تماما بين اللغتين العربية والتركية. فلايخفى على أحد أنّ العرب والترك ما لديهم من أمور كثيرة مشتركة كالدين والتاريخ والثقافة، وكل هذه عوامل أدت إلى خلق حالة من التأثر المتبادل بين اللغتين، حتى أصبح تبادل الكلمات بينهما أمرأ لامفر منه. تأثر الشعر التركي كذلك بالشعر العربي من حيث الشكل والمضمون، فأخذ الشاعر الفارسي قواعد الشعر العربي بقوافيه وعروضه فوافقها بطبيعته ومزاجه فكانت المحصلة إيجاد بعض التغيير والنقص والزيادة دون أن يُشوّه الصورة الجمالية لمحاكاة شعراء التركية الشعراء العرب في بناء القصيدة وإنشائها. كذلك «ثبت أن قصة ليلى والمجنون قد انتقلت إلي اللغة التركية منذ القدم، وكان ذلك عن طريق اللغة الفارسية حيناً، وعن طريق اللغة العربية مباشرة أحياناً أخري، وكذلك عن طريق النقل الشفاهي، وشعراء الرُباب في بعض الأحايين. فما إن أصبحت اللغة التركية لغة أدبية في أواسط آسيا ومنطقة الأناضول، خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين،حتي بدأنا نطالع فيها هذه القصة العاطفية؛ فقد نظمها الشاعر المبدع عليشير نوائي في اللغة التركية الشرقية الأذرية». (المرسي،١٤١١: ٤٨) أما أعظم من نظم هذه القصة في الأدب التركي قاطبة فهو الشاعر فضولي، الذي تناول هذه الدراما العاطفية وصاغها بشكل قشيب، بحيث جعل القارئ لها يتنسم من بين صفحاتها عبير الشرق وشفافية و روحانيته وعفافه، وفي نفس الوقت حدته وكظم غيظه... ويقول فضولي نفسه أنه لم ينظم هذه

القصة من نفسه، إنما شرع في نظمها بناء علي رغبة من بعض ظرفاء وأمراء الروم المسلمين أرادوا أن يمتحنوا مقدرته الشعرية. وماحبذها عند فضولي هو ذلك التشابه الكبير الذي وجده بينه وبين أبطال القصة. وهذا ماخلق نوعا من التعاطف بينه و بينهم. (نفس المصدر:٤٩).

١-٢. أهمية دراسة البحث:

ما يدفعنا إلى الاهتمام بالبحث حول قصة المجنون اهتمامًا يناسب مكانتها ما يأتي:

لا شكّ أن قصة مجنون ليلي قد وُلدت في البيئة العربية (الجزيرة العربية) كحكاية عشق عذري، ثم انتقلت إلى الأدب التركي وغيره من الآداب الإسلامية في العصور اللاحقة. وبينما تحتفظ الرواية العربية بأصالتها التاريخية، فإننا نقدّر الإضافات الإبداعية التي أثراها الشعراء مثل فضولي، حيث حوّلوا الحب العذري إلى رمز صوفي. وقد أسهمت دراسات غنيمي هلال في جعل هذه القصة نموذجاً بارزاً في الأدب المقارن، إذ تابعها العديد من الباحثين العرب. لكنّ الملاحظ – وللأسف – أن هذه الدراسات اقتصرت على مقارنة الأدب العربي بالفارسي (خاصة في موضوع ليلي ومجنون)، بينما أهملت المقارنة مع الأدب التركي رغم عمق الروابط التاريخية والحضارية بين الثقافتين. وهذا الفراغ البحثي يستدعي دراسات أكثر تفصيلاً تُعنى بتحليل الخصائص المشتركة والتبادلات الأدبية بين هذين الأدبين المتجاورين، مما يُسهم في توضيح التفاعل الثقافي بين الشعبين العربي والتركي.

١-٣. منهج البحث:

اعتمد الباحثون في دراستهم المقارنة على قصة مجنون ليلى العربية ومنظومة ليلى والمجنون لمحمد فضولي، واتبعوا المنهج الوصفي- التحليلي بالإضافة إلي المنهج التاريخي،

من خلال اتباع الخطوات التالية:

أولاً: الاعتماد على ديوان«مجنون ليلى» بدراسة وتعليق يسري عبد الغني، هو الذي جمعه ورتبه الأديب العالم أبوبكر الوالبي.

ثانياً: عرض ملخص للقصة في الأدبين العربي و التركي.

ثالثاً: بيان أهمّ نقاط المقارنة في: الشخصيات، والأحداث، والأهداف، واللغة والأسلوب، والخاتمة.

رابعا: بيان جوانب التشابه والافتراق علي حسب الشعر العربي ومنظومة ليلى ومجنون فضولي.

١-٤. أسئلة البحث:

يحاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما هي أوجه التشابه والاختلاف بين قصة مجنون ليلى لقيس بن الملوَّح ومنظومة ليلى ومجنون لمحمد فضولي؟

- ما هي الميزات التي كانت في قصة مجنون ليلى العربية لتؤثّر علي الشاعر التركي محمد فضولي لينظمها وينقلها إلي الأدب التركي؟

-كيف أو من أي طريق (مباشرة أوغير مباشرة) تأثّرت قصة ليلى والمجنون التركية لمحمد فضولي من القصة العربية، وكيف أثرت في مسرحية مجنون ليلى لأحمد شوقي؟

١-٥. فرضيات البحث:

من وجوه التشابه التزام فضولي بالإطار العام للقصة العربية مع الحفاظ على قيم العفاف والأفكار الأساسية،ومن وجوه الاختلاف هي بما أن فضولي كان شاعرا مبدعا

ومبتكرا في الإضافات والتغييرات الفنية والموضوعية، كنقل الموضوع من سياقه التاريخي في اللغة العربية إلي سياقه الأدبي في اللغة التركية ومن الصبغة العاطفية إلي الصبغة الصوفية أيضاً.

– تأثر الشاعر محمد فضولي بقصة «قيس» دون غيره من العذريين العرب كجميل بثينة وكثيرعزة وغيرهما، لأن قيسا كان أكثرهم صدقا في حبه وأغلبهم حرمانا ومعاناة وأشهر الشعراء العذريين جمعياً، وهذا لأنه كان نموذجاً تظهر فيه أشرف العواطف وألطف المشاعر رغم ما أصبح عرضةً للألم والإحباط، كذلك كان نموذجاً للاتصاف بالأخلاق الطيبة والفضائل العالية والالتزامه بالدين، برغم معارضة التقاليد له.

– تأثّر محمد فضولي بقصة قيس بن الملوَّح مباشرة أوعن طريق الفرس، وأحمد شوقي في اختياره موضوع مسرحيته متأثر بالأدب الفارسي عن طريق الأدب التركي.

١-٦. الدراسات السابقة:

هناك بحوث و كتب ترتبط وتعني بهذا الموضوع لكنها عالجت الموضوع بين الأدبين العربي و الأدب الآخر حول قصة ليلى والمجنون، نحو دراسة مقارنة «مابين الأدب العربي والأدب الفارسي حول قصة ليلى والمجنون لفيصل حسين غوادرة» و كتاب«مجنون ليلى في الأدبين العربي والفارسي لغنيمي هلال» وكتاب«الأدب المقارن – دراسات تطبيقية بين الأدب العربي والفارسي» و رسالة «ليلى والمجنون في الأدبين: العربي والبشوي لفضل الله مومند» ولكنّ الدراسات التي أُلِّفت حول قصة «ليلى والمجنون» لفضولي ليست كثيرة، بل هي نادرة وقليلة، ولم يُملأ هذا الفراغ البحثي حتى الآن. ومن الجدير بالذكر أن الأدب العربي يُعدّ المنبع الأصلي للآداب الإسلامية، حيث نقل محمد فضولي منظومته من البيئة العربية إلى الأدب التركي. وتكمن أهمية هذه الدراسة في معالجتها لموضوع لم يحظَ ببحث شامل بعد، إذ لم نعثر سوى على دراسة واحدة تناولت هذا الجانب بشكل

مباشر، وهي دراسة: «التناص السردي في ليلى والمجنون لفضولي البغدادي، وممو زين لـأحمدخاني»حسن، محمد خالدأبو الحسن، (٢٠٠٥) مجلة كلية الآداب، العدد٢٨،الجزء٢، جامعة سوهاج. توصل البحث إلى نتائج عديدة ومن أبرزها ما يأتي:

فكلٌ من فضولي و خاني يريد شيئاً واحداً و هو وحدة المسلمين من خلال العشق فخاني يريد بذكر العشاق الوصول للعشق الإلهي، ويريد بالمسلمين أنيتحدوا فيما بينهم. و كذلك فضولي الذي يريد بالعشاق وزوار بيت الله الحرام أن يجتمعوا حول الكعبة. فقد تبين من خلال هذا المقال أنَّ فضولي نظم قصة المجنون على غرار ما جاء في القصة العربية ولكن في شكل صوفي – أنه قد تلاقى مع قصة أحمدي خاني، في عناصر السرد، حيث نلاحظ أن البيئة التي حدثت فيها القصة والعادات والتقاليد الخاصة بالمجتمعين العربي والكردي كلها كانت متناصة ومتقاربة، الأمر الذي خلق نوعاً من التناص السردي بين القصتين، كما أن نسج القصتين في شكلٍ صوفي أوجد نوعاً من التقارب بينهما أيضاً.

٢-١. عرض الموضوع:

من أهم الموضوعات التي حازت اهتمام الباحثين في الأدب المقارن من العرب في العصر الحديث موضوع ليلى والمجنون لما له من أهمية خاصة تمثلت في انتقاله إلي الآداب الأخري كالأدب الفارسي والتركي وتحوّله إلي رمز من رموز الشعرية الصوفية. فحكاية ليلى ومجنون من الحكايات التي اختلفت حولها الروايات العربية، وانتقلت إلي الأدب الفارسي والتركي برواياتها المختلفة وأثرت في شعرائهم بشكل كبير فصاغوها شعراً و زادوا فيها وأصبحت لهذا الموضوع عندهم خصائص وسمات لمتكن له في الأدب العربيّ. بعبارة أخرى قصة ليلى والمجنون – في الأصل– مجردة من كل تنسيق أو تنميق، وهي قصة غرامية. لا يمكن انكار وجود فن القصص الغرامي لدى العرب منذ في القرن الأول للهجرة وتطوره حتى كاد يكون فنّاً مستقلاً على نحو ما نرى من فنون القصص الغرامي في الأدب الحديث، وأن يشق هذا الفن لنفسه طريقاً إلى الأدب الإيراني حيث تنال قصة

(ليلى والمجنون) ما نالته من الحظوة في بلاد العرب، بل إنها تنفرد هناك بأن نظمها أكابر شعرائهم مثل نظامي الكنجوي وأمير خسرو الدهلوي وغيرهم من شعراء إيران. ثم تنتقل هذه القصة أيضاً إلى الأدب التركي فينظمها من شعراء الترك، فضولي و... ».(المصطفى، ١٩٤٣: ٣٥٣)

الناقد والباحث الطاهر أحمد مكي في كتاب «مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن» يقول:«عرف الأدب التركي قصة مجنون ليلى منذ القرن الخامس عشر، ونظمها في التركية الجغتائية مي علي شيرنوائي، ومن بعده نظمها حمدي آق شمس الدين، ولو أن مؤرخي الأدب التركي لايعرضون لكليهما إلا عرضا ولماما وفي حديث مقتضب. أما الذي أعطاها شهرة مسفيضة في الأدب التركي فكان فضولي، وكانت آخر ما نُظم».(أحمد مكي، ١٩٩٤: ٤٣٧)

فقد حاولنا فيما نقصده هنا أن نوفق بين مجنون ليلى للقيس بن الملوّح وليلى ومجنون للفضولي، وأن نوضح بعض حوادث القصة بطريق مقارنة تبيين مالهذا الموضوع من دلالات عميقة في مجالات الفكرية والفنية بين مجنون ليلى العربي ومنظومة ليلى ومجنون للفضولي، لكي تبين وجوه الاختلاف والافتراق ونبرهن به علي البحث«دوران الموضوعات» بين هذين الأدبين.

دوران الموضوع هو التفاعل الفريد بين آلآداب الإسلامية،«لأن اجلّ ما يقدمه الأدب المقارن من خدمات للآداب الإسلامية، قد تمثل في النتائج التي أسفرت عنها الدراسات المقارنة بين لغات العالم الإسلامي في الفترة الأخيرة، فلقد أثبتت هذه النتائج مدي عمق الروابط والصّلات الفكرية والأدبية بين هذه الآداب، وكشفت عن تفاعل فريد لا نظير له في آداب أخرى؛ فتدور الموضوعات بينها دورات كاملة لتعود إلي الأدب الذي بدأت منه ولكن في صيغة جديدة. فحين يظهر موضوع من الموضوعات في أدب ما، كمجنون ليلى في الأدب العربي القديم، يتلفقه الأدب الفارسي فيحضنه زمناً، ويطبعه بطابعه

الوجداني الخاص، و يعطيه أبعاداً فنية، وقيماً جمالية إضافية، ثم ينتقل الموضوع إلي الأدب التركي وهو محمّل بمؤثّرات عربية وفارسية، ثم يرجع مرة أخري إلي الأدب العربي في العصر الحديث وقد تشبّع بالطابعين الفارسي والتركي. وفي كل مرحلة ينتقل فيها الموضوع إلي أدب من هذه الآداب يصاغ بشكل جديد ويتلقي إضافة جديدة. هذا الدوران الكامل للموضوعات بين الآداب الإسلامية كانتقال الموضوعات من دائرة النثر في أدب من الأداب الإسلامية إلي دائرة الشعر في أدب آخر، وفي عودتها إلي الأدب اوّل تعود في قالب شعري متأثر بأشكال الشعر في الأدب الحاضن، مما يحافظ لهذه الموضوعات على حيويتها وأصالتها، كما يؤدي إلي توليد أشكال فنية جديدة مرتبطة بها قابلة للتداول بدورها، باعتبار قالباً جديداً يصَبّ فيه الموضوع صبّا فنياً جديداً، مما يحفظ علي هذه الموضوعات طابعي التراث والحداثة في آن واحد، ويحفز موضوعات جديدة علي اقتحام ساحة المبادلات لتحقق لنفسها الدوام والاستمرار في كنف هذه الآداب،شرط أن تثبت صلاحيتها لذلك.»(جمال الدين،١٩٨١: ٢٥)

يلاحظ أنَّ نظامي كان أول مَن نقل الموضوع من حالته الأولية إلي الأدب الفارسي، وتبعه شعراء كثيرون من الفرس، عالج كل واحد منهم الموضوع برؤية فنية مختلفة. ثم مالبث أن الموضوع انتقل إلي الأدب التركي، حتى عاد إلى الأدب العربي بصور جديدة تماما في الأدب العربي الحديث علي نحوما صوّره أمير الشعراء أحمد شوقي في مسرحيته الرائعة«مجنون ليلى».

٢-٢. مجنون ليلى في ديوان قيس بن الملوّح:

نشأ قيس بن الملوّح من بني عامر، وليلى بنت المهدي في بيت ثراء، وكان شاباً وسيماً أديباً ضليعاً في أشعار العرب، يُحفظها ويُرويها، وقد أحب قيسُ ليلى منذ كانا صغيرين يرعيان البهم، وظل الحُب ينمو بينهما، كبر الفتى فشاع أمر حبه لليلى وباح بحبه لها في شعره وتناقلوا الناس حكايتهما. فثار أهلها عليه ثورة شديدة ورفضوا تزويجها منه...

ولم ييأس ظل يوفد لها الرُسل ويحتال للقائها... وكان يهيم في البراري باحثًا عنها بعد أن عزم أهلها على الرحيل، فالتقى ابن عوف عامل الصدقات ورجاه أن يكون رسولًا بينه وبين أهل ليلى، فوعده ابن عوف خيرًا... ولكن مهمة ابن عوف تفشل أمام إصرار أهلها، فتؤثر الصدمة الشديدة على عقل قيس... وتتزوج ليلى وردًا، وحين يصل خبر زواجها إلى قيس يجن تمامًا، ويبدأ يضيق بالناس ويضيقون به فكان يفر منهم إلى الصحراء ويأنس بالوحوش، ويرى في الظباء عيني محبوبته، ويفتديها إن وقعت في الصيد...وكانت ليلى لاتزال على حبها لقيس وإن كانت لمتخرج عن الأصول المرعية لامرأة متزوجة وظلت تحتفظ بحبها لحبيبها واحترامها لزوجها حتى أضناها الأمر في النهاية فمرضت وماتت. (ندا، ١٩٩١: ١٦٢-١٦١باختصار)

٢-٣. ليلى والمجنون في منظومة فضولي:

محمد فضولي (٨٨٩-٩٦٣هـ/١٤٨٣-١٥٥٦م) هو أحد أبرز شعراء العصر العثماني، وُلد في بغداد لأسرة علمية تنحدر من حلة العراق. أتقن ثلاث لغات (التركية والفارسية والعربية) وأبدع في مختلف الأغراض الشعرية (الفضلي، ٢٠١٠: ٥٣). تميز أسلوبه بدمج العناصر الصوفية مع الحب العذري، وهو ما يتجلى بوضوح في منظومته (ليلى ومجنون) حيث أعاد صياغة الحكاية العربية بإطار تركي صوفي (أتش، ٢٠٠٢: ١٢٧). في هذه المنظومة، يسرد فضولي القصة على أنها حدثت في قصر لأحد سادات العرب الذي لم يرزق ولدا.. وتستمر القصة علي أنها بين العرب.. ولكن بدلامن البادية هناك القصور والبساتين التي يلتقي فيها الخلّان.. ويعرض الأب حالة ولده علي الأطباء بحثاً عن دواء لدائه.. إلا أنَّ وسائل الأطباء لم تُجْدِ نفعاً.. فيحج البيت ويتعلق بأستار الكعبة.. فيدعو الله أن يزده حباً لليلى وشوقاً إليها... فليلى تحاكي ضوء القمر.. ونور الصباح.. والفراشة والنسيم والسحاب.. و يركز فضولي علي حالة الوجد التي ألمت بليلى عندما سمعت منشداً يتغني بشعر المجنون.. ويستحدث خطبة ابن سلام لليلى عقب رؤيته لها

لأول وهلة، وكيف تحقق له ذلك علي أمل أن يخلص أهلها من العار الذي ألحقه بهم المجنون من التشهير بها في أشعاره.

ويتابع فضولي البغدادي أحداثه، ويجعل نوفلاً يتدخل لصالح المجنون لكي يزوجه ليلى بعد أن سمع شعراً له وهو شريداً هائماً علي وجهه في الفيافي، وكيف وعدهم بالمال إن هم لبوا طلبه، ونشوب الحرب بعد أن رفض أهل ليلى طلب نوفل. ولكن الحرب تخمد وينصرف نوفل بعد أن يلتقي بوالد ليلى الذي يخبره أنه من السهل عليه كأب أن يقتل ابنته بدلاً من أن يزوجها بمن شهّر بها ولوث سمعة العشيرة. ويجعل فضولي موت ليلى سابقاً علي موت المجنون؛ حيث حمل زيد إليه نعي ليلى، ويخرجان لزيارة قبرها، فبكاها العاشق، وتوسل إلي الله أن يلحقه بها.. فيسلم الروح ويدفن بجوارها.. يجزع زيد جزعاً شديداً ويلزم قبريها.. وألزم نفسه علي تعميره و رعايته.(المرسي،١٤١١: ٤٩)

٢-٤. سبب نظم قصة ليلى والمجنون من محمد فضولي:

قد ذكر محمد فضولي سبب نظمه في مقدمة منظومته، فذكر أنه كان في مجلسٍ مع رفقةٍ من ظرفاء الأتراك، فاقترحوا عليه أن ينظمها.(قالوا: بالله يا بديع القوافي، إلا كشفت للدنيا عن هذا الكنز الخفي. أنها قصة طالما تداولها الأعجام، ولا وجود لها عند الأتراك. اسردها على حقيقتها وأعد لهذا الروضة نضرتها)١. (المصري،١٩٥١: ٢٤٠)

فضولي يجعل الحب البشري بين قيس وليلى رمزاً للحب الإلهي، فقصة هذا الحب عنده تنتقل من معناها الإنساني لتصبح موضوعاً مجازياً للوصول به إلي فكرة أخري تصوفية أرفع وأسمي.(ندا، ١٩٩١: ١٧١) يُصوّر فضولي قيسًا محبًا عارفًا متصوفًا يَصِلُ إلى درجة الكمال، ويُحمِّل القصة من المعاني الصوفية ما لا تُطيق، ويُعدّ هذه المنظومة وسيلة في توصيف وتبيين الحب الواقعي، ويصرّح بأن شخصية ليلى مجاز و إيماء لحقيقة

١-«لطف ايله! -دئديلر،-اي سخن سنج! فاش ائيله جهانه بيرنهان گنج!
ليلي مجنون عجمده چوخدور، اتراكده اول فسانه يوخدور.
تقريره گتير بو داستاني، قيل تازه بو اسكي بوستاني».(فضولي،١٣٩٩: ٣٦)

رِموزالحياة وشخصية (المجنون) رمزٌلروح الانسان المضطرب والقلق الذي يبذل نفسه لأجلِ الوصول الى تلك الحقيقة المطلقة منذ القدم. ويقول في هذه الرباعية».

توتسام طلب حقيقته راهِ مَجاز ، افسانه بهانه سيله عرض ائتسهم راز.[٢]
ليلى سببيله وصفين ائتسهم آغاز ، مجنون ديلي ايله ائتسهم اظهار نياز

(فضولي،١٣٩٩ :١١)

الترجمة العربية: إذا اختار طريق المجاز للبحث عن اللحقيقة، أبين السر بذريعة الأسطورة، أبدأ وصفها بطريقة ليلى، أعبّر عن حاجتي بلسان المجنون.

نظم فضولي البغدادي قصيدة «ليلى والمجنون» على وزن الهزج، مبتدئًا بمقدمة ثم ثلاث رباعيات (المناجاة، التوحيد، النعت) قبل سرد أحداث القصة. وتُعد هذه المنظومة – التي تبلغ حوالي ٣٤٠٠ بيت – من أبدع ما نُظم في الأدب التركي الكلاسيكي .ويعتبر أجمل المثنويات التي نظمت بالتركية دون منافس».(ندا، ١٩٩١: ١٧١)

٢-٥. تأثر و تأثير كل منهما بالآخر:

تأثرت وأثرت كل منهما في الأدب الأخر، يري بعض الباحثين أن فضولي تأثر بشعراء الفرس وقد اتبع هذاالشاعر إلي حدّ بعيد تفصيلات قصة نظامي؛ لكنه كان اكثر منه صوفية في تعبير عن أحداثها، وذلك نتيجة تأثره بما أضافه شعراء الفرس المتأخرون على القصة بعد نظامي، فضلاً عن الروح الصوفية التي غلبت علي الشعر التركي منذ نشأته. علي أنّ فضولي يمتاز بميزة أخري قبسها الأتراك من فنّ المثنوي الفارسي بعد أن تطور خلال القرون.(كفافي،١٩٧٢: ٣٤٠) يقول الصفصافي«ثبت أن قصة ليلى والمجنون قد انتقلت إلي اللغة التركية منذ القدم، وكان كذلك عن طريق اللغة الفارسية حينا،

٢– ترجمة جميع النصوص الواردة في هذا البحث من اللغة التركية إلى العربية بواسطة الباحث.

وعـن طريـق اللغـة العربيـة مباشـرة أحيانـا أخـري، وكذلـك عـن طريـق النقـل الشـفاهي». (المرسـي،١٤١١: ٤٨)

غنيمـي هـلال يقـول:«إنّ شـوقي كان يجيـد التركيـة بحكـم نشـأته ومولـده، وكان في مكتبتـه الخاصـة كثيـر مـن الأشـعار المكتوبـة بتلـك اللغة».(حسـام الخطيـب،١٩٩٩: ١١٢) ثـم يبـين بقول:«شـوقي في اختيـاره موضـوع مسـرحيته متأثـر بـالأدب الفارسـي عـن طريـق الأدب التركـي». ويـري أن شـوقي في مسـرحيته هـذه «بقـي ليلـى عـذاراء بعـد زواجهـا مـن ورد، وقـد ظلـت عـذراء حتـي المـوت، وبقيـت بذلـك وفيـة لعاطفتهـا، مخلصـة لحبهـا»(نفس المصـدر:١١٥) وهـذا الـرأي ليسـت لـه حقيقـة في المنابـع العربيـة، بينمـا في كل القصـص الفارسـية والتركيـة يكـون الأمـر كذلك،كمـا يعتقـد غنيمـي.

نـري أن فضولـي تأثـر بهـذه القصـة العربيـة مباشـرة أو غيرمباشـرة ، أي عـن طريـق الأدب الفارسـي، وأعطاهـا شـهرة عالميـة في اللغـة التركيـة، حيـث زخـرت منظومتـه بدِقَـة المعانـي وطرافتهـا، يدريهـا علـي السـنة شـخصيات الروايـة، حتـي تـزول عـن قارئهـا التعـب. ثـم منظومتـه أثـرت علـي الأدب العربـي الحديـث حيـث ألّـف أحمـد شـوقي مسـرحته مسـتفيدا مـن المكتوبـات الفارسـية والتركيـة غالبـا، وقـد تلقّـي بعـض المعانـي والأفـكار والأحـداث مـن الأدب التركـي والفارسـي.«شـوقي في اختيـاره موضـوع مسـرحيته متأثـر بـالأدب الفارسـي عـن طريـق الأدب التركـي».(محيـي الديـن الجنـان،١٩٨٢: ١٣٧)

٢-٦. أوجه التشابه بين مجنون ليلى لقيس و ليلى والمجنون لفضولي :

يتبـين لنـا مـا اشـتدّت بـه رغبـة فضولـي في نقلـه مـن الأصـل العربـي لهـذا الموضـوع هـي القِيَـم الأخلاقيـة .الشـاعر

يُلهِمُ النـاس مـن خـلال هـذه القصـة إلـى الأخـلاق المحمـودة والمثـل السـامية والعفـة والطهـارة والحـب العـذري، والشـجاعة، والأنفـة والنجـدة.

يستند هذا البحث إلى فرضية أساسية مفادها أن قصة مجنون ليلي في أدبها العربي الأصلي كانت تحمل بذوراً صوفية كامنة، لذلك شعراء سائر الأمم نقلوا قصته إلي أدبهم دون قصص سائر العذريين، منها: كثير عزة، جميل بثينة و... يشرح محمد غنيمي هلال:«كبار الشعراء الذين عالجوا تلك القصة في الأدب الفارسي كانوا من الصوفية، وق دوجدوا في أخبار المجنون خصائص لاتتوافر في أخبار سواه من العذريين. فالمجنون أشد العذريين حرماناً من إرضاء عاطفته... فكان ذلك داعياً له إلي التسامي بعاطفته إلي أبعد حدود التسامي. فوجد الصوفية في أشعاره و أخباره من هذه الناحية مجالا لخيالهم و أفكارهم».(نظري،١٣٩٠ :١٣٧)

وقد جعل فضولي شخصية قيس بمنزلة مركز القصة تدور حوله الحوادث، فهو محور القصة ومحرك أحداثها بلا ريب؛ وفي هذا يتناسق تماما مع ما أوغل في الأصل العربي.

إيمان قيس بالقضاء والقدر من السمات المشتركة بينهما، وأن ما وقع له إنما قدر الله تعالي مكتوب في الكتاب المكنون لايعلمه الاّ الله، وأنه لاطريق له ليغيير هذا القدر. فما بدا متعبًا ولا حزينًا بما قدّرته الأقدار، وهو – بعقيدته الإسلامية– لم يقاوم القدر، بل أبرز الرضا بما قدره الله تعالي، وما يراه الناسُ شراً فهو عند الله خيرٌ كلُّه. ويؤمن بأنَّه مبعث ما أبتلي به من حب فيخضع أمام ما قدر له ولايحاول أن يخرج عليه وينجو منه فهو لم يستجب لنصائح والده التي حثّه فيها على نسيان ليلى والانصراف عن حبّها، قائلاً:

يوخدور بو ايشيمده اختياريم، ضبطيمده عنان اقتداريم
تقدير چون بئله دير، نه ندبير، تقديري ائدرمي كيمسه تغيير
(فضولي،١٣٩٩: ٦٩)

الترجمة العربية: ليس لي في هذا الأمر اختياري و زمام سلطتي. عندما يكون

القدر هكذا فما هي التدبير؟ من ذا الذي يغير القدر؟

في كلتا قصتين عندماحج به والده رجاء برئه من داء العشق، وأراد منه أن يتعلق بأستار الكعبة ويبتهل إلي الله أن يعافيه من دائه، لميستمع المجنون لطلبه، بل تعلق بأستار الكعبة طالباً من الله أن يخلد حبه لليلى.

يارب!بلاي عشق ايله قيل آشنا مني، بير دم بلاي عشقدن ائتمه جدا مني

آز ائيله مه عنايتيني اهلِ درددن، يعني كي،چوخ بلالارا قيل مبتلا مني.

(نفس المصدر : ٧٨)

الترجمة العربية: يارب اجعلني على بينة من بلاء الحب، للحظة واحدة تجعلني لا أنفصل عن بلاء الحب! لا تقلل من حرمتك من أهل الألم، بل إجعل لي من يتألمني أكثر منهم.

جاء في ديوان قيس بن الملوّح:

يارب! لاتَسلُبَنّي حُبَّها ابداً، وَيرحَمُ اللهُ عبداً قال آمينا

(الوالبي، ١٩٩٩: ٣١)

لم تُفِدْ زيارة الكعبة ذلك العاشق إلا بجعله أكثر حباً لليلى وأكثر جنوناً بها.

في مجنون ليلى لقيس ومنظومة فضولي تموت ليلى قبل المجنون ويجيء إلي قبرها يبكي ويحتضنه حتي يموت عليه. ثم يدفن في قبر واحد مع حبيبه بعيدين عن لومة الناس إلي يوم القيامة.

٢-٧. أوجه الاختلاف بين مجنون ليلى لقيس و ليلى والمجنون لفضولي:

٢-٧-١. الشخصيات:

الشخصيات في الرواية العربية: والد قيس، والد ليلى، قيس، ليلى، صديق قيس، ورقة بن مساحق، السلطان، ورد، قيس بن ذريح، عمربن عبد الرحمان بن عوف.

الشخصيات في الرواية التركية: قيس، ليلى، والد قيس، والد ليلى، والدة ليلى، ابن سلام، نوفل، زيد.

نري اختلاف الشخصيات في بعضها عند منظومة فضولي عن العرب، بالطبع هذا الاختلاف سيتبعه اختلاف في التصرفات، الأحداث و الأدوار.

٢-٧-٢. الأحداث:

نعلم أن اول ماينكشف من اختلاف في هذه القصة بين الأدبين هو أنه بقي في الأدب العربي القديم في نطاق التاريخ، فتشمل القصة العربية عددا من الأخبار التي تنوعت أنماط الرواية فيها، وكان هذا التنوع علّة لما بينها من الخلاف، بل وسيلة لرفضها من بعض نقاد. لكن فضولي نقل الموضوع من سياقه التاريخيّ إلي سياق أدبيّ، ومن نطاق نثريّ إلي الشعريّ، وشرع منظومته بمقدمة ثم ثلاث رباعيات، المناجاة، التوحيد، النعت وأحداث عشق الحبيبين. ولقدعمد الشاعر إلى جمع المتفرق من روايات المجنون ووصل بعضها ببعض وصاغ منها قصة متتابعة المناظر متوالية الأقسام، وأنشأ شعرا في فن الشعر التركي يشتهر لديهم«المثنوي» يمكّن الشعراءَ بإنشاد المطوّلات لقصر القافية فيه علي مصرعي البيت الواحد فقط. استطاع فضولي نظم القصة في نحو ثلاثة آلاف وأربع مئة بيت من الشعر. بعبارة أخرى الشاعر فضولي قد جعلها قصة منسجمة لأنه قسمها إلي مناظر ومشاهد متتابعة تبدو القصة منظمة ولاتداخل ولااختلاف بينها، لكن نجد أن ديوان قيس بن الملوح يَظهر دون ترتيبٍ زمنيٍّ واضحٍ أو تسلسلٍ منطقيٍّ للأحداث.

يضيف الشاعر فضولي أحداثا جديدة أو في هذا الموضوع لعله يتأثر من القصة التي ألّفها أبو محمد إلياس النظامي الكنجوي حيث يذكر والد قيس كان ملكًا عظيمًا يخضع له جميع العرب ويطيعون أوامره، ، ليس له ولد، فأخذ يتضرع إلي الله ليعطيه وارثا في ملكه وديارة، إلي أن استجاب الله دعاءه و رزقه ولدا يسمّي قيس.

من ديوان مجنون ليلى للقيس بن الملوّح يستنبط أن ليلى و المجنون تعارفا وهما صبيان حينما كان يذهبان لرعي البهم والماشية ثم ظلا حتي نمت عواطفهما الطاهرة البريئة وترعرعت.فلما شبا وكبرا جعل حبهما يزيد وينمو كل يوم وساعة حتي حجبت عنه ويدلّ عليه هذا قول المجنون:

تعلقْتُ ليلى وَ هْيَ غِرّ صغيرة وَلَمْ يَبْدُ لِلأَتْرَابِ مِنْ ثَدْيِهَا حَجْمُ

صَغِيْرَيْنِ نرْعَى البَهْمَ، يَا لَيْتَ أَنَّنَا إِلَى اليَوْمِ لَمْ نَكْبَرْ وَلَمْ تَكْبَرِ البَهْمُ

(الوالبي،١٩٩٩: ٢٨)

وفقًا لمنظومة فضولي، فإن براعم الحب الأولي قد اينعت بين ليلى والمجنون كانا تلميذين صغيرين يدرسان معا كانت بداية حبهما في المكتبة والطفولة، ويدلّ على هذا كما يقول:

مكتبده اونلا اولدو همدم بير نئچه ملك مثال قيز هم

اول قيزلار ايچينده بير پري زاد قيس ايله محبت ائتدي بنياد

(فضولي،١٣٩٩: ٤٤)

الترجمة العربية: في المدرسة أصبح رفيقًا لها، وكانت بين الفتيات كأنها ملكة، وفي وسط تلك الفتيات، كانت هناك حوراء، قد أرسَتْ مع قيس أساس الحب.

يلاحظ أن فضولي – بذوقه الشخصي المتميّز وقوته الإبداعية وأسلوبه التعبيري

الفريد – قد نقل مكان الأحداث من الصحراء إلى المكتبة. هذا الأمر يدل على روح ارستقراطي مجتمع فضولي ومدنيتهم المتبينة. ومحمد مصطفى يقول:«اقتبس الشاعر نظامي الكنجوي هذه الرواية وحورها بما يناسب الحضارة الإيرانية في عصره، فاستبدل بالبادية والمواشي حجرة المكتب والكتب، وجعل المجنون يقابل ليلى في المدرسة وهما صغيران، ويتعارفان ثم يتحابان في أثناء الدراسة. أو اقتدى بنظامي الكنجوي في ذلك سائر شعراء الإيرانية والتركية الذين نظموا قصة ليلى والمجنون».(المصطفى،١٩٤٣ :٣٥٣)

ذكر في الأصل أن سبب رفض والد ليلى تزويجها قيسا هو أنّه شبّب بليلى وحسب تقاليد العربية من شبب بفتاة لايمكن أن يتزوجها(جمال الدين،١٩٨١: ٢٦٧) بعبارة أخرى لأن عادة العرب كانت تقضي بألاتُروج الفتاة من فتي شبّب بها. وكأنما كان السبب الكامن وراء ذلك أن التشبيب يضع أسرة الفتاة أمام امر واقع، يحاول به المحبّ أن يفرض نفسه علي الفتاة وعلي اهلها، مدّعيا في غزله ادعاءات كاذبة، قد تصرف سواه عن التقدم إليها، فتبقي له وحده، فالأسرة هنا تثور لكرامتها، وتتصدي للعاشق وتقاومه، وتمنعه من الزواج بفتاته. (كفافي،١٩٧٢: ٣٣٠)أما فضولي فيذكر سببا آخر له فيقول والد ليلى لوالده: أنك تتحدث بما لايواتيك فيه الرأي ... وابنك مريض بالجنون، ابحث عن علاج لابنك أولا ثمّ ابحث له زوجة. شرط زواجه بليلى أن تزول علامة جنونه و كان العقل مرشده.

شرطي بو كي، اولاسان خردمند، ارباب خيرددن آلاسان پند.
رفع اولا علامت جنونون، عقل اولا هميشه رهنمون

(فضولي،١٣٩٩: ٧٤)

الترجمة العربية: الشرط هو أن تصبح عاقلا وتأخذ النصحية من أولو الألباب و تزول علامة الجنون و يكون العقل دليلا.

رأينا ليلى في منظومة فضولي ظلت عذراء رغم زواجها مع ابن سلام، وهو ما لم يرد في الأصل العربي. في منظومة فضولي ليلى تبدو مستضامة، ومعتدلة، وعذراء. بعد ذهابها إلى منزل ابن سلام، تلتجئ إليه أن يكبح جماح نفسه ويقول له:

ليلى دئدي:«اي حريف قابل! سنسن سرو و سرور قبائل

ظلم ائيله مك ائتمه من اسيره، اظهار ترحم ائت فقيره»

(نفس المصدر :١١٨)

الترجمة العربية: قالت ليلى: «ايه المنافس المؤهَّل! انت سَروةُ العُلا وسيد القبائل. لاتظلم الاسيرة وارحم الفقيرة».

واكتفى ابن سلام من تلك الحديقة بعطر زهرها، فكل لحظة للوصال موصلة بالفراق. وتثير في نفسه أوقات الراحة ألوان المحنة. قد اقتلع جذور أمله، دام علي هذه الحالة حتي قضي نحبه.

چون ابن سلاما بيم نقصان اول وصلده روزي ائتدي هيجران،

مئيل ائتمه دي مطلق اول نكاره، هركيز اونا قيلمادي نظاره

نظاره (نفس المصدر:١١٩)

الترجمة العربية: ولما أصاب ابنَ سلام خوفُ الفقدان، أصبح يومُ وصاله فراقًا أبديًا، فما التفتَ إليها ببصرٍ ولا قلبٍ، ولا أشاحَ بوجهه نحوها طرفةَ عينٍ.

لكن في قصة مجنون ليلى لقيس ما يفيد أنه تم الزواج السائد، وهذا ما أكّده زوجها لقيس عندما استجوبه قيس.عندما أفرط فضولي في وصف المعركة الكبيرة التي دارت بين نوفل وبين أهل ليلى بسبب عدم إجابتهم وساطة نوفل، وقامت الحرب، وتمني المجنون الغلبة لقوم ليلى، ليقدم لها روحه، فإما قتلته وإما أسرته، وكادت الدائرة أن تكون

علي نوفل وقومه، وأيقن أن دعاءه هذا هو الذي كاد أن يُهزم به، فآلي علي نفسه ألاّ يذكر اسم ليلى إن كتب الله له النصر. ولكنه أخلف وعده وعاد للقتال، وهزم قبيلة ليلى، صار أبوها أسيرأ لجنود نوفل لكنه عفا عنه، ولم يلزمه علي تزويج ليلى للمجنون، مما لانجد له أصلا في القصة العربية، ولاتشتمل أيّ هجوم حربيّ فيها، أما خيال الشاعر فضولي هنا طلب أن يصور الحماسة التي أتاحت للشاعر مجالا رسم فيه إحدي الوقائع الحربية .

كرداريني كؤرمه دي مناسب، نذر ائتدي كي، كر اولسا غالب.

ذكر ائتمه يه دخي ليلى آدين ترك أئده بو امر اوچون عنادين

(نفس المصدر: ١٠٥)

الترجمة العربية: ولما لم يرَ المجنون في فعلِه ملاءَمةً، نذرَ نذراً أنه إن انتصرَ على خصمِه، لن يذكرَ اسمَ ليلى أبداً، وليتخلى عن هذا العداءِ إلى الأبد.

في القصة العربية يطلب المجنون من الغراب أن يكون رسوله إلي ليلى، بينما في القصة التركية يريد من الحمامة أن يكون رسوله.

ألا يا غراب البين إن كنتَ هابطا بلاداً لليلى فالتمس أن تكلما

وبلّغ تحياتي إليها وصبوتي وكن بعدها عن سائر الناس أعجما

(الوالبي، ١٩٩٩: ٥٦)

نلاحظ أن الأبيات العربية التي وُجِّهت إلى الغراب تستدعي له السوء، لأنه يرمز في البيئة الصحراوية إلى طالع الشؤم ورسول الفراق، بينما في منظومة فضولي تصبح الحمامة عاشقا كالمجنون وقاصدا وجليسا وأمينا لمجنون فكلاهما يحترق حزنا واشتياقا إلي الحبيب وكلاهما ظل أسيرا وحزينا ومولعا يبغي ما لايرجي وصاله.

كر عاشق ايسن، سن اي جهانكرد، قاچما كي، منم سنينله هم درد
بير لحظه منيمله همنشين اول، كنجنينه رازيمه امين اول
سن قاصد ايميش سن، اي حمامه منـدن هم ائت نكاره نامه

(فضولي، ١٣٩٩: ٨٣)

الترجمة العربية: ياسائح! إن كنت عاشقا فلاتهرب، إنّي معك مرافق. كن معي جليسا وأمينا لكنز سرّي. ياحمامة! أنت رسولي، أرسلي منّي رسالة إلي المعشوق.

ونلاحظ أن فضولي قد أكّد في منظومته السمات الثقافية التركية المميزة التي تختلف عن نظيرتها العربية، ولا سيما في المشهد الحربي الذي ابتكره من خلال خياله الإبداعي، حيث صور معركة دارت بين جنود نوفل وأهل ليلي، وهو مشهد يستمد أصوله من الموروث الملحمي والأساطير الحربية في الأدب التركي، ثمّ في صورة شخصية ليلى الإيجابية في منظومة فضولي، في العنوان العربي يتقدم اسم العاشق علي اسم المعشوقة، فمازال نقرأ «مجنون ليلى»بينما نقرأ في منظومة فضولي ليلى والمجنون. وهو ما تثبته أيضا إضافات الرجل في الأحداث، إذ نري ليلى تمنع زوجها أن يتمتع منها جسديا، بينما هذا الموضوع لم يرد في القصة العربية، أو عندما تراسل المجنون لتوضح له عن شوقها وحرقتها وحبها، هو ما لميرد أيضًا في القصة العربية.

أعاد فضولي صياغة قصة ليلي والمجنون ضمن رؤية صوفية إسلامية متكاملة، مزج فيها بين الخصائص الثقافية التركية والعناصر البيئية المحلية، مع الحفاظ على الأصول العربية الأصيلة للقصة.

٢-٧-٣. الهدف:

تهدف هذه القصة في مبناها العربي إلى إظهار قيمة الحب في معناه العذري

العفيف الطاهر، تكون رمزا للعذرية والوفاء والعفاف حتي الموت. لكن في الأدب التركي كان فضولي قد حاول أن يعرض قضيّته الصوفيّة من خلال قصة ليلى والمجنون، فإن ذلك يعد عملاً أقرب إلى الحداثة والجِدّة بالنسبة للوقت الراهن؛ فإن ما يفعله الكتاب اليوم – كتاب القصة والرواية على وجه التحديد – ما هو إلا عرض لقضايا المجتمع من خلال قصةٍ ما قدلا يكون لها وجود في ذاكرة الناس، وإذا كان فضولي قد استطاع أن يعرض لقضيته الصوفية تلك من خلال قصةٍ راسخةٍ في أذهان الناس؛ فإن هذا إن دل على شيء إنما يدل على تلك المقدرة الأدبية المجددة التي تميز بها فضولي عن غيره من مبدعي عصره.(حسن،٢٠٠٥، ع٢٨،ج٢) بعبارة أخرى ينتقل الشاعر فضولي من الحب إلى أفكار الصوفية منها وحدة الوجود، ويبين أن نهاية الحب في الاتحاد بين قلبي الوامق والمومق، كما يقول في آخر منظومته :

اول دم كي،بو نسخه اولدو مرقوم، «ليلى- مجنون» آدييلا موسوم،

اظهاره كليب رموز وحدت، وحدتده تمام اولوب حكايت

(فضولي، ١٣٩٩: ١٩٥)

الترجمة العربية: عندما تمّ تدوين هذه النسخة، سُمّيت بـ«ليلي والمجنون»، حيث تتجلّى رموز الوحدة الصوفية، وتنتهي القصة باتّحاد الحبيبين في الذات الإلهية.

والجدير بالذكر أن كثيرا من أشعار فضولي لايزال في المساجد والتكايا و في المناسبات الدينية لسمو معانيها وعذوبة ألفاظها وشدة تأثيرها في سامعيها.(سمين البياتي،٤٧، ١٩٧٣)

اؤيله سرمستم كي،ادارك ائتمرم دونيا نه دير

من كيمم،ساقي اولان كيمدير ، مي وصهبانه دير

(نفس المصدر:١٦٧)

الترجمة العربية: أُسْكِرْتُ حتى نسيت الدنيا ومن أنا؟ ومن الساقي؟ وما الخمر وكأس الطلى؟

تُعدُّ منظومة فضولي من الآثار الأدبية الخالدة، وذلك رغم أنها كُتِبَت في عصرٍ غارقٍ في الجهل والظلام، حيث كانت المجتمعات الإسلامية تعيش على هامش الزمن، خارج مسار التطور الحضاري، في ظل عادات اجتماعية متخلفة موروثة من عصور القهر والاستبداد، لاسيما ما تعرَّضت له المرأة الشرقية من استغلالٍ فاضحٍ تحت ستار الدين ومفاهيم الزيف حول الحياء والوقار.

من كوهرم، اؤزكه‌لر خريدار، منده دئكيل اختيار بازار

دوران كي، مني مزاده سالدي، بيلمن كيم ايدي ساتان، كيم آلدي؟

(نفس المصدر :١٢٨)

الترجمة العربية: أنا جوهرةٌ يُتاجر بها، والآخرون مشترون، ولستُ مُخيّراً في ذلك السوق. إنه زمني الذي ألقاني في هذا المزادِ ولا أعرفُ من الذي باعني ومن الذي إشتراني؟

إن هذا النداء يدعو إلي كسر اغلال وإنهاء عبودية المرأة الشرقية في تلك الحقبة صارخا وثائرا تمزق عتمة ظلمات عصور عديدة نحو ضوء القيم الديمقراطية ومبادئ الحرية الإنسانية وارتفع صوت الشاعر فضولي يُنادي المرأةَ الشرقيةَ إلى التحرر من كل أشكال العبودية والامتثالية، مُكرِّساً حقَّها في الاختيار وحريتها في تقرير مصير حياتها، للمرة الأولى منذ العصور الوسطى.

٢-٧-٤. الخاتمة:

جعل فضولي من قيس عاشقًا متصوفًا يكاد يصل إلى درجة الكمال، ويحمّل القصة من معاني الصوفية ما لاتحتمله، فيجعل الحب البشري بين ليلى وقيس رمزًا للحب الإلهي وتنتقل من معناها الإنساني إلى معنى صوفي أرفع وأسمى.

يُبرز فضولي في خاتمة عمله بُعداً صوفياً عميقاً، حيث يتحوّل حب قيس لليلى من عشق أرضي إلى تجلٍّ للحب الإلهي، فتصبح ليلى مجرد رمزٍ مؤقتٍ في رحلته الروحية، بينما تظل النهاية في الرواية العربية وفيةً للرؤية العذرية، حيث يحتفظ العاشقان بهويتهما المنفصلة ولهيب عشقهما الأصيل.

٢-٧-٥. اللغة والأسلوب:

استخدم الرواية العربية أسلوبا ولغة عادية تتناسب إلي حد بعيد مع ما كان سائدا في عصر حدوث القصة، حيث المعجم اللغوي سهل وإن كان يميل ألي تعقيد في بعض الألفاظ الشعرية، والصور كانت غزلية، وكانت أغلبها حسية وإن مالت في بعض المواقف إلي المعنوية، وتجمعت الألفاظ في الصور والمعاني لتؤلف مشاهد حزينة أليمة تصور مواقف الحب في مشاهر رقيقة مرهفة(جميلة، ٢٠١٨،٥٦)لكن هذه الألفاظ والمعاني وهذا الأسلوب في منظومة فضولي ينتقل إلي الصوفية، حتي موضوع القصة يصبغ صبغاصوفيا. فقد يتحول الغرض الأصلي الذي تدور حولها القصة من الحب العذري إلي الحب الصوفي، والمجنون لم يعشق ليلى ليتزوجها بل كان يعشقها للحب نفسه. لأنه عندما تقترح ليلى لقيس الزواج. قيس يرفض ويبين أن أهل الحق لايستسلم نفسه للحب المجازي لأن الحب الإلهي ليس ناقصًا..... تقول ليلى أنني اختبرتك.

استخدمت الرواية العربية أسلوباً ولغة عادية تتناسب إلى حد بعيد مع ما كان سائداً في عصر حدوث القصة، حيث المعجم اللغوي سهل وإن كان يميل إلى تعقيد في بعض

الألفاظ الشعرية، والصور كانت غزلية، وكانت أغلبها حسية وإن مالت في بعض المواقف إلى المعنوية، وتجمعت الألفاظ في الصور والمعاني لتؤلف مشاهد حزينة أليمة تصور مواقف الحب في مشاهد رقيقة مرهفة (جميلة، ٢٠١٨، ٥٦). لكن هذه الألفاظ والمعاني وهذا الأسلوب في منظومة فضولي ينتقل إلى الصوفية، حتى موضوع القصة يصبغ صبغة صوفية. فقد يتحول الغرض الأصلي الذي تدور حوله القصة من الحب العذري إلى الحب الصوفي، والمجنون لم يعشق ليلي ليتزوجها بل كان يعشقها للحب نفسه. لأنه عندما تقترح ليلي لقيس الزواج. قيس يرفض ويبين أن أهل الحق لا يستسلمون أنفسهم للحب المجازي لأن الحب الإلهي ليس ناقصاً..... تقول ليلي: إني اختبرتك.

خيال ايله تسلّيدير كؤنول مِيل وصال ائتمز، كؤنولدن باشقا بير يار اولدوغون عاشق خيال ائتمز.

حقيقي عشق چون مستوجب نقصان دكيل مطلق، اؤزون، اهل حقيقت، واله حُسن و جمال ائتمز!

(فضولي، ١٣٩٩: ٢٩٤)

الترجمة العربية: القلب لا يَسلو بالخيال، فالعاشق لا يتخيل سوى القلب حبيبًا آخر.لأن الحب الحقيقي لا يستحق النقصان مطلقًا،أهل الحقيقة لا يتيهون في جمالٍ أو كمال!

فضولي لا يروي قصته روايةً تبعث في النفس الملال؛ ولكنه يضمنها كثيرًا من غزلياتها التي يجريها على لسان شخصيات القصة، وهذا يضفي عليها لونا غنائيا جميلا، ويخرج بها عن السرد القصصي الرتيب. (المصري،١٩٥١: ٢٤٠)

تُعتبر ليلى والمجنون من أهم مصنفات فضولي ويقترن اسمه بهذا المصنف وقد اشتهرت شهرته بين جميع الأقوام التركية و ففاقت كل الأعمال التي كُتبت في هذا الموضوع قبلها أو بعدها. ويبدو أن فضولي لم يسمع شيئاً عن المصنفات التي كتبت

بهدا الموضوع و إذا شاهد هذه القصص لم يعجب بها، لأنّ هذا الموضوع كان متوافقاً تماماً مع رؤيته الصوفية وميوله النفسية. اذ أنه تمكن من التعبير عن احاسيسه وافكاره التصوفية من خلال هذا الموضوع. والشاعر المبدع تفوق واجتاز المستوى الفني الذي بلغه الشعراء قاطبة. ولذا كشف جميع المصنفات بهذا الموضوع. وتعتبر من أجمل المثنويات التي نظمت بالتركية.(خضرحيدر، دت:٣١٢) قصة مجنون ليلى المعروفة باسلوب فضولي المعوَّد، والجدير بالذكر أن فضولي أضفى على هذه الملحمة من عبقريته الشعرية ماجعلها نادرة الصنو في آداب الشرقية والغربية، ولهذه المنظومة ايضاً أهمية اجتماعية وتاريخية لأنها تصور تصويراً دقيقاً جانبًا مهمًا من الحياة الاجتماعية في العراق في عصرالشاعر. (سمين البياتي،١٩٧٣: ١٨) وقد زاد من جمال قصة فضولي ما بها من شعر غنائيّ، فقد كان هذا الشاعر من أساتذة الغزل، وقد استطاع أن يبث في القصة قبسا جديدا من العاطفية والجمال(كفافي، ١٩٧٢ : ٣٤٠).

قوة التشخيص عند فضولي تدل على عبقريته الشعرية، والمقصود بها تصوير الأمور تصويرا حاذقا، وتقريب الحوادث من مخيلة السامع كأنه يراه رأي العين، وقوة فضولي في التشخيص عظيمة إلي درجة أنه يصف لك أغرب مشهد وأدق تجربة شعورية فلايترك منها جانبا ألا ويجليه ويصوره ويتفنن فيه عرضا وتحليلا ويقربه ويجسمه حتي يحملك علي تخيله بجلاء كأنك رأيته بنفسك فوصفته. وخير دليل يذكر في هذا المجال ملحمة(مجنون ليلى) الشعرية التي حين تقرأها تحس بالرواية تمر أمام ناظريك مشهدا مشهدا. (سمين البياتي،١٩٧٣ :٧٠)

تمتاز منظومة فضولي بميزة اقتبسها الشاعر من فنّ المثنوي الفارسي. تلك هي إدخال الغزل بين القصة، فهذه المقطوعات الغزلية التي توجد بين المثنويات الطويلة – كما ذكر كفافي– «وقفات غنائية خلال المثنوي الذي تتابع أبياته بصورة رتيبة في بحر واحد. وقد استخدم الأتراك هذا الأسلوب في نظم المثنوي أكثر من الفرس. وقصة

ليلى والمجنون تحلو بمثل هذا الشعر الغنائي، ..... و يتمتع فضولي بالتفوق العظيم علي أقرانه من شعراء التركية، في منظومته عن ليلى والمجنون. وقد وصفها جِب بأنها أجمل مثنوي قصصي في الشعر التركي. وقد زاد من جمال قصة فضولي ما بها من شعر غنائي، فقدكان الشاعر من أساتذة الغزل، وقداستطاع أن يبث في القصة قبسا جديدا من العاطفية و الجمال».(كفافي،١٩٧٢: ٣٤٠)ومما صور إمعان فضولي في الفكرة الصوفية هذه الأبيات التي يقول فيها:(ندا، ١٩٩١: ١٧٣)

من شمع شب فراق يارم،	سوزان و سياه روزكارم
ياندير دي مني جفاي عالم،	دينلنمرم،اؤلمه يينجه بيردم.
پرتو برجينده آفتابيم،	بيلديم كي، وجود ايميش حجابيم.
يارب، مني ائت فنايا ملحق	كيم، راه فنا ايميش حق.
پاك ايدي، دعاسي ائتدي تاثير،	في الحال مزاجي اودو تغيير.
ضعف تني اول مقامه يئتدي	كيم بستر ايچينده جسمي ايتدي.
اكسيلدي عرقده حسن تابي،	بيركول كيمي كيم، كئدر كلابي.
رفع اولدو نشانه سلامت،	موتينه كؤورمزدي وجود ناتوانين.

(فضولي،١٣٩٩ :١٨١)

الترجمة العربية: أنا شمع ليل فراق الحبيب وقد صارت أيامي سوداء محرقة. أحرقني جفاء العالم فلاراحة لي إلا بالموت. إني شعاع في برج الأضواء و لا يحجب هذا الشعاع إلا جسدي فهو الحجاب. يارب الحقني بعالم الفناء لأن طريق الحق هو طريق الفناء. وكان دعاؤه طاهرا فأجيب إلي ما طلب وفي الحال تغير مزاجه. وصل ضعف جسمه إلي المقام وفني جسمه في الفراش. ومن علامات تحوله إلي عالم الفناء أن نقض ضوء جماله في العروق كالورد يذبل إذا جف ماؤه. وعندما ظهرت علامات تحوله إلي

طريق الفناء ارتفعت راية السلامة.

٣- النتائج:

قد اقتبس فضولي قصة ليلى والمجنون من الأخبار العربية مباشرة أو عن طريق الأدب الفارسي ، وقد بدا التأثير من أجل ذلك ظاهرا في قصته من جوانب وفيرة. ولكن بقي لهذا الموضوع بعض هذه المميزات والسمات يختص بالأحداث ومجراها من الموضوع، بعضها يختص بوصف البيئة ومناظرها، ثم الصبغة الصوفية التي بلغته القصة في منظومة فضولي وأصبح سمة بارزة فيها.

أول ما يظهر من التفاوت بين القصتين هو أنه بقي في الأدب العربي مجموعة من الروايات التي كثرت أساليب الرواية فيها. أما في الأدب التركي فقدقام الشاعر بتنظم أحداثها طبقا لِما انتقي من الأخبار العربية، فذُكرت الحوادث في قصته متفقة منسجمة لاتباين فيها ولاخلاف، ولم يكن لهذا الانسجام في الروايات دافع غير اتحاد الناظم، لأنه هو الذي اجتمع بين الروايات المبعثرة لتظهرها متسقة، لتلك أخذ وفيرا من ماجريات القصة بالتعديل والتغيير والحذف.

أول ما يظهر من الاختلاف بين القصتين هو تعدد الروايات وتنوع أساليب السرد في المصادر العربية القديمة، حيث نجد اختلافات في تفاصيل الأحداث بين رواية وأخرى، بينما قام فضولي في المنظومة التركية بانتقاء وتنظيم هذه الروايات المتناثرة في قالب موحد متسق، فقدم نسخة متماسكة من القصة بعد أن أجرى عليها عمليات انتقاء وتعديل وحذف لتناسب رؤيته الأدبية.

لم يكتفِ فضولي بمجرد نقل القصة العربية، بل أحدث تقارباً بين الرواية وبيئته العثمانية، مما أدى إلى ابتعاد تدريجي عن النص الأصلي. وتتجلى هذه التحولات في عدة مستويات:

لم يقتصر ابتكار فضولي على هذا الأمر، بل أضاف على هذا الموضوع كثيرا من مبتكراته مما قرّب الرواية من بيئته وعهده، وابتعد بها قليلا أو كثيرا عن الرواية العربية. فالشاعر فضولي يجعل قيسا يتعرف بزميلته في المكتب، كانا يذهبان إليه ليتعلما. وبذلك فضولي يبتعد عن أصل القصة العربية في تصوير علاقة الحب بين قيس وليلي وهما صغيران يرعيان المواشي في الصحراء. ويؤكد فضولي وجود هذا المكتب كان أمرا واضحا وبارزا، يذكر أن الناس كانوا يرسلون أولادهم وبناتهم إلى المكتب الذي كان التعليم المشترك فيه لتلقى العلم، بينما هذه المكاتب لمتكن موجودة في البيئة البدوية التي ترعرع فيها قيس في القرن الأول الهجري. كذلك يبدو أن فضولي في قصه نوفل أراد أن يصور إحدى الوقائع الحربية يرسم الحماسة فيها، بينما هذه الفكرة لمتكن موجودة في الرواية العربية. إضافة على ذلك رفضت ليلى أن تمكن زوجها منها، فقد ظلت ليلى عذراء رغم زواجها عند فضولي كماهي حالها عند نظامي مع اختلاف طفيف، لأن في المنظومة التركية تبدو ليلى بعد زواجها مستظامة ووقورة، وأما في قصة ليلى والمجنون الفارسية مكابرة ومتكبرة، علي حين هذا غير مذكور في ديوان قيس بن الملوّح ويسعى فضولي أن يُحرّر المرأة الشرقية من قيود العبودية في عصره؛عندما يرى ليس لها اختيار. ويسعى فضولي

تهدف هذه القصة في ديوان قيس بن الملوّح إلى إظهار قيمة الحب في معناه العذري العفيف الطاهر، ولكن فضولي قد حاول أن يعرض قضيته الصوفية من خلال قصة ليلى و المجنون حيث يرى في الحب فضيلة من فضائل النفس و وسيلة من وسائل الإرتقاء بها إلي أرفع مراتب الكمال، وينتقل من الحب إلي وحدة الوجود.

تتفق منظومة فضولي مع الرواية العربية في أن الشاعر بقي متمسكًا بالإطار الذي صوّره مجنون ليلي في الرواية العربية للموضوع، وحرص على حكاية السجايا الأخلاقية له، فجعل شخصية قيس مركزًا للقصة، وأكّد إيمانه بالقضاء والقدر، وفي كلا القصتين

عند تعلقه بأستار الكعبة، يطلب من الله أن يخلد حبه لليلي.

نعتقد بأن كانت لقصة مجنون ليلى العربية خصائص ومميزات صوفية، لذلك فضولي ينتقلها إلي الأدب التركي وينظمها دون قصص سائر العذريين. ويتأثر بها، ويلاءم مع التيار السائد في الثقافية العلمية والأبية في زمنه. ويستطيع أن يؤول بعض الخصائص في القصة العربية تأويلا صوفيا، ثم أثرت على العربي الحديث في مسرحية ليلى مجنون لأحمد شوقي.

نرى أن قصة مجنون ليلي العربية قد امتلكت خصائص ومميزات صوفية، لذلك نقلها فضولي إلى الأدب التركي ونظمها دون قصص العذريين الآخرين. وقد تأثر بها وواءمها مع التيار السائد في الثقافة العلمية والأدبية في عصره. كما استطاع أن يفسر بعض الخصائص في القصة العربية تفسيرًا صوفيًا، مما أثر لاحقًا في الأدب العربي الحديث ممثلًا في مسرحية «مجنون ليلي» لأحمد شوقي.

المنابع والمصادر:

١. أتش، محمد نور، (٢٠٠٢)،التأثيرات الصوفية في الأدب التركي الكلاسيكي، الطبعة الثالثة، إسطنبول: دار نشر .

٢. أحمدمكي، الطاهر،(١٩٩٤)، مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن، الطبعة الأولي، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية.

٣. بعلي، حفناوي،(٢٠١٨) الترجمة وجماليات التلقي المبادلات الفكرية الثقافية، الطبعة الأولي، عمان،دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.

٤. جمالالدين، محمدسعيد، (١٩٨١)،الأدب المقارن، دراسات تطبيقية بين الأدبين العربي والفارسي، الطبعة الأولي، القاهرة، دارثابت.

٥. جميلة، فارح، (٢٠١٨)، ليلى والمجنون بين الأدب العربي والأدب الفارسي، اطروحة الماجستير، الجمهورية الجزارية، جامعة عبدالحميد باديس.
٦. حسام الخطيب، (١٩٩٩) آفاق الأدب المقارن عربيا وعالميا، الطبعة الثانية، دمشق، دارالفكر.
٧. حسن، خالد محمد أبو الحسن،(٢٠٠٥)، «التناص السردي في ليلى والمجنون لفضولي البغدادي، وممو زين لـ أحمدخاني»، مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج، كلية الآداب، العدد٢٨، الجزء٢.
٨. خضرحيدر، جوبان، د.ت، ليلى والمجنون في الأدب التركي، بغداد، كلية الآداب.
٩. زلط، أحمد،(٢٠٠٥)، الأدب المقارن نشأته وقضاياه واتجاهاته، الحكاية الخرافية أنموذجا، د.ط، الجيزة، هبة النيل العربية.
١٠. سمين البياتي، عبد العزيز، (١٩٧٣)، شاعرية فضولي، الطبعة الأولي، كركوك، مطبعة الجمهورية .
١١. الفضلي، أحمد، (٢٠١٠)، الشعر العثماني: دراسة تحليلية. الطبعة الثالثة. بيروت: دار الكتب العلمية.
١٢. فضولي البغدادي، ملامحمد، (١٣٩٩)، ليلى ومجنون، مصحح نوراله بورشريف، الطبعة الأولي، تيريز، آذرتوران-نباتي.
١٣. كفافي، محمد عبدالسلام، (١٩٧٢)، في الأدب المقارن، دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي، الطبعة الأولي، بيروت، دارالنهضة العربية.
١٤. محيي الدين الجنان، مأمون،(١٩٨٢) مجنون ليلى بين الواقع والأسطورة،لطبعة الأولي، بيروت، دارالكتب.
١٥. مصري، حسين مجيب،(١٩٥١)، تاريخ الادب التركي، الطبعة الأولي، القاهره، مطبعة الفكرة.

١٦. مصطفى،محمد،(١٩٤٣)«في التصويرالإسلامي ليلى والمجنون»،مجلة الرسالة، مصر، العدد٥١٣،صص ٣٥٣-٣٥٥.

١٧. المرسي، الصفصافي أحمد، (١٤١١)«ليلى والمجنون في الآداب الشرقية»، مجلة الفيصل، الرياض، دارالفيصل الثقافة، العدد ١٧١،صص٤٥-٥٠ .

١٨. ندا، طه،(١٩٩١)، الأدب المقارن، ط.١، بيروت، دارالنهضة العربية.

١٩. نظري منظم، هادي و منصوري، ريحانه، (١٣٩٠)، «الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية لمحمد غنيمي هلال»، مجلة إضاءات نقدية، جامعة آزاد الإسلامية، العدد الثالث.

٢٠. الوالبي، أبوبكر، (١٩٩٩)، ديوان قيس بن الملوّح مجنون ليلى، دراسة وتعليق يسرى عبدالغني، الطّبعة الاولى، بيروت، دارالكتب العلميّة.

References

1- Ahmad Makki, Al-Taher, (1994), Introduction to Comparative Islamic Literature, first edition, Cairo, Appointed for Human and Social Studies and Research.

2- Al-Mursi, Al-Safsafi Ahmad, (1411) "Layla and Majnun in Eastern Literature", Al-Faisal Journal, Riyadh, Dar Al-Faisal Al-Thaqafa, No. 171, pp. 45-50.

3- Al-Walabi, Abu Bakr, (1999), Diwan of Qays ibn al-Mulawwah Majnun Laila, study and commentary by Yusra Abdel-Ghani, first edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya

4- Baali, Hafnawi, (2018) Translation and the Aesthetics of Reception, Intellectual Cultural Exchanges, first edition, Oman, Yazouri Group for Publication and Distributio.

5- Fuzuli al-Baghdadi, Molammad, (1399), Layla and Majnun, edited by

Nouralah Poursharif, first edition, Therese, Azharturan-vegetarian.

6- Hasan, Khaled Muhammad Abu Al-Hassan, (2005), "Narrative Intertextuality in Layla and Majnun by Fudouli Al-Baghdadi, and Momo Zein by Ahmadkhani," Journal of the Faculty of Arts, Sohag University, Faculty of Arts, Issue 28, Part 2.

7- Hossam Al-Khatib, (1999) Horizons of Comparative Literature, Arab and International, second edition, Damascus, Dar Al-Fikr.

8- Jamal al-Din, Muhammad Saeed, (1981), Comparative Literature of Comparative Studies in Arabic & Persian Literatures, first edition, Cairo, Darthabit.

9- Jamila, Farah, (2018), Layla and Majnun between Arabic Literature and the Persian Father, Master's thesis, Algeria Republic, Abdolhamid Badis University.

10- Kafafi, Muhammad Abdel Salam, (1972), in comparative literature, studies in the theory of literature and narrative poetry, first edition, Beirut, Dar Al-Nahat Al-Arabiyya.

11- Khazr Haider, Choban, D. T., Layla and Majnun in Turkish Literature, Baghdad, College of Arts.

12- Masri, Husain Mujib, (1951), History of Turkish Literature, first edition, Cairo, Al-Fikra Press.

13- Muhyi al-Din al-Jinan, Mamoun, (1982) Majnun Layla between reality and myth, first edition, Beirut, Dar al-Kutub.

14- Mustafa, Muhammad, (1943) "On Islamic Photography, Layla and Majnun," Al-Resala Journal, Egypt, No. 513, pp. 353-355.

15- Zalat, Ahmed, (2005), Comparative Literature: Its Origins, Issues, and Trends, The Fairy Tale as a Model, D. P., Giza, Arab Gift of the Nile.

16- Nada, Taha, (1991), Comparative Literature, 1st edition, Beirut, Dar Al-Nahat Al-Arabiyya.

17- Nazari monazam,Hadi and Mansouri, Rayhana, (1390), "The Emotional Life between Virginity and Sufism by Muhammad Ghoneimy Hilal," Criti-

cal Illuminations Magazine, Islamic Azad University, third issue.

18- Samin Al-Bayati, Abdul Aziz, (1973), Fozuli's Poetics, first edition, Kirkuk, Al-Jumhuriya Press.